جامعة 16 (2012/1434)، 239-262

الأبعاد التربوية لصلاة الخوف

نـــزار جـــرن

أكاديمية القاسمي

تلخيص

يعتبر هذا الموضوع من المواضيع الهامة في موضوع التربية الإسلامية، حيث يصور الباحث من خلاله الأبعاد التربوية للتكاليف الشرعية التي كلف الله بها عباده، وهذا بدوره يعطي رؤية جديدة في التعامل مع الشعائر العبادية.

وقد استهل الباحث بحثه بتبيان مشروعية صلاة الخوف من خلال نصوص الكتاب والسنة، ذاكرا حكمها وصفتها، ثم تطرق إلى الأبعاد التربوية لصلاة الخوف ضمن مجالات عدة؛ المجال الإيمانيّ، والعقليّ، والخلقيّ، والاجتماعيّ، والنفسيّ، والأبعاد التنظيمية للجانب الدعوي.

وأخيرا بين الباحث أهم المواقف التربوية التي يمكن استخلاصها من صلاة الخوف في نطاق التربية والتعليم.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

تهتم العبادة بالأساس الأول ببناء شخصية المسلم من جميع جوانبها، الإيمانية والعقلية والخلقية والاجتماعية والنفسية والتنظيمية، والتي تسعى إلى تحقيق عبودية الله وإقامة الخلافة في الأرض.

فالعبادة الصحيحة هي مناط شخصية المسلم وهي التي ترسم خطها ليسير عليه في الأرض باستقامة، ولا يكون المسلم مستقيما إلا باستقامة القلب، فإذا استقام قلبه استقام إيمانه، فيبرز أثر ذلك على ظاهره، فتستقيم أخلاقه وعباداته وقيمه وتصوراته وأفكاره ومعاملاته، لقول النبي ﷺ :"ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1].

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: **الإيمان**، باب: فضل من استبرأ لدينه، 22/1 رقم الحديث 52.

ومن خلال هذا المنطلق وضعت بحثي هذا تحت عنوان المضامين التربوية لصلاة الخوف في الإسلام، حيث وجدت من خلال هذا البحث أن العبادات في الإسلام ليست خالية من مضمونها ولا تعمل في فراغ، فهي عبادات ربانية، مصدرها الوحي المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إذ تكشف لنا طريق الخير كله، وتنير لنا مسالك الحياة في كافة جوانبها، وترسم لنا معالم الهدي والرشاد.

ومن خلال هذا البحث سنقف على أهم المقاصد التربوية التي تَتغيّاها صلاة الخوف، سواء في الجانب الإيمانيّ أو العقلي أو الخلقي أو الاجتماعي أو التنظيمي، حتى تستيقن قلوبنا أن هذا الشرع تنزيل من حكيم حميد.

والله نسأل أن يجعل عملنا هذا في ميزان حسناتنا يوم القيامة، فهو نعم المولى ونعم النصير.

صلاة الخوف:

مشروعيتها: ثبتت مشروعية صلاة الخوف بالكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ النساء: 102.

أما السنة: فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يصلي صلاة الخوف، وما ثبت في حق النبي ﷺ ثبت في حقنا.[2]

حكمها: ذهب أكثر أهل العلم إلى أن صلاة الخوف جائزة لعموم الأدلة.[3]

[2] ابن قدامة: **المغني**، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، بيروت، 1987. 296/3.

صفتها: لقد وردت نصوص عديدة في هيئة صلاة الخوف، حيث بلغ عددها ستة عشر وجها، والحق الذي لا محيص عنه أنها جائزة على كل نوع من الأنواع الثابتة.[4]حسبما يقتضيه الموقف والحال.

سأقتصر في هذا البحث على ذكر أربع هيئات لصلاة الخوف، التي صلى بهن النبي ﷺ، تاركا ما سواهن خشية الإطالة، وهي على ما يلي:

أولا: ﴿أن الطائفة صفت مع النبي ﷺ، وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما فأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته فأتموا لأنفسهم فسلم بهم﴾[5].

ثانيا: قال جابر ﷺ﴿شهدت مع رسول الله ﷺ، صلاة الخوف، فصفنا صفين خلفه، والعدو بيننا وبين القبلة، فكبر النبي ﷺ، فكبرنا جميعا، ثم ركع وركعنا جميعا، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه، وقام الصف الأخر في نحر العدو، فلما قضى النبي ﷺ السجود والصف الذي يليه، انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا، ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم، ثم ركع النبي ﷺ، وركعنا جميعا، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه، الذي كان مؤخرا في الركعة الأولى، وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى النبي ﷺ السجود بالصف الذي يليه، انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا، ثم سلم النبي ﷺ فسلمنا جميعا﴾[6].

---

[3] القرطبي، ابن رشد: **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، تحقيق أبو الزهراء القاضي، مكتبة نزار الباز، مكة، 1995، 319/1.

[4] الشوكاني، محمد بن علي، **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**، دار المعرفة، بيروت، 1419هـ، 400/3.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: **المغازي**، باب: غزوة ذات الرقاع، 63/5، رقم الحديث 4129. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: **صلاة المسافرين**، باب: صلاة الخوف، 366/6، رقم الحديث 1945.

[6] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: **صلاة المسافرين**، باب: صلاة الخوف، 364/6، رقم الحديث 1942.

ثالثا: ﴿أن رسول الله ﷺ بذي قرد، فصفّ الناس خلفه صفين، صفا خلفه، وصفا موازي العدو، فصلى بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء مكان هؤلاء، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة، ولم يقضوا ركعة﴾.[7]

رابعا: أن النبي ﷺ وصف صلاة الخوف وقال:﴿ فإن كان خوف أشد من ذلك فرجالا وركبانا﴾.[8]

البعد الإيماني:

أولا: تعميق الصلة بين العبد وربه: الصلاة عبادة عظيمة يتقرب بها العبد لله رب العالمين في جميع ظروفه وأحواله، ففي وسط الملحمة وضجيج المعركة وصليل السيوف لا يغفل المسلم عن ربه، فهو يهرع إلى الصلاة تعبيرا عن قوة الصلة والمحبة التي تربطه مع خالقه.

ثانيا: تحقيق الانقياد لأمر الله: يؤدي المسلم صلاة الخوف حسبما أفادته أحكام شرعه المتمثلة في قرآن ربه وسنة نبيه، فهو يعلم أن العبادة هي اعتقاد صادق والتزام كامل وإتباع صحيح، الأمر الذي يترتب عليه قبول العمل عند الله، ومن شأن هذا أن يؤثر على سلوك المسلم وضبط تصرفاته في مختلف مجالات الحياة، وبهذا الانقياد الكامل تتشكل نواة المجتمع المسلم الذي شاء الله أن يكون رائدا وأنموذجا طيبا لكل المجتمعات الإنسانية.

ثالثا: إعانة المسلم لأخيه المسلم على العبادة: فصلاة الخوف تجعل المسلم متحررا من دائرة مركزيته، منطلقا من حدود نفسه، ليس أنانيا ولا مؤثرا لذاته، لا يعمل على إشباع دافع التدين عنده فحسب، بل يعمل على مساعدة غيره وإشباع دافع التدين عند الآخرين ابتغاء الأجر والمثوبة من الله، ثم إعانة لهم وتحقيق عبوديتهم ومتابعة طريق الخير والبر والعمل الصالح، يؤخذ هذا من صلاة المسلم خلف إمامه، ثم يتحول إلى أخذ موقعه لحراسة الطائفة التي لم تصل.

[7] أخرجه النسائي في سننه، كتاب: صلاة الخوف، رقم الحديث 1532.

[8] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء في صلاة الخوف، رقم الحديث 1258.

رابعا: العمل الصالح في زمن الشدائد والفتن: من الأمور المهمة التي ينبغي أن يتدرب عليها المسلم هو أن يستعين بالعمل الصالح في أزمان الفتن والمحن والشدائد، التي تحيق بالأمة، فالعمل الصالح دليل القوة في الدين، والصلابة في اليقين، وهو مِعصم المسلم وحافظهُ من النكوص أو الانزلاق.

ومن أجل ذلك كان فضل العمل الصالح في ساعات الفتنة والبأس في أعلى درجات الأجر والثواب، ويتأكد هذا بقوله ﷺ ﴿ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شح مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله﴾.[9]

البعد العقلي:

أولا: الوعي بأصل العبادة وكيفيتها: أداء المسلم لصلاة الخوف يستلزم منه أن يكون على علم ومعرفة بهذه الصلاة، حتى يستقيم أمر صلاته ويكتب لها القبول ويترتب عليها الأجر من الله، لذا كان من مقتضيات الأمر تزود المسلم بهذه المعرفة الذي يؤهله لأداء صلاة الخوف الذي يحقق له التوازن بين أداء واجبه المقدس نحو دينه والدفاع عنه وبين واجبه نحو ربه، في الابتهال إليه والتذلل له.

ثانيا: احترام العقل الإنساني: صلاة الخوف دليل على احترام الإسلام للعقل الإنساني، الذي هو آلة التمييز والإدراك، ومناط التكليف وأساس التشريف، فتعدد هيئات صلاة الخوف يفتح المجال للمسلم أن يُعمل عقله ويشحذ فكره في اختيار هيئة الصلاة المناسبة لطبيعة الحدث والموقف الراهن. وفي هذا تنمية للعقل واستثارته على بذل الجهد واستفراغ لوسع لتحقيق هدف من الأهداف، أو بلوغ غاية من الغايات.

[9] أخرجه النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب: الرقاق، 358/4، رقم الحديث 7912.

ثالثا: القدرة على اتخاذ القرار الصحيح في الوقت المناسب: إن اختيار النبي ﷺ لنوع محدد من الصلاة يتناسب مع طبيعة الوقت الذي هو بصدده ينم عن الصفات التي تتحلى بها الشخصية القيادية.

هذه الصفة تعتبر من أهم الصفات التي يشترك بها كل القادة على مختلف مستوياتهم وتنوع مجالاتهم، ابتداء من قيادة البيت ثم المدرسة ثم الأحزاب والجماعات وانتهاء بالدولة، لما لها من تأثير قوي وفاعل في تحقيق الأعلى نسبة في النجاح والتفوق، بل هي العلامة الفارقة بين القائد الناجح والقائد الفاشل، لأن استطاعة القائد على دراسة الواقع ومعرفة ما يحيط به من ملابسات وأحداث، ثم قدرته على اختيار السلوك الأنسب من بين بدائل السلوكيات المختلفة يجعل الأتباع يثقون بقيادته ويقتنعون به ويدفعهم للتعامل معه بشكل منسق ومحكم.[10]

البعد الأخلاقي والاجتماعي:

أولا: إعلان رسمي للشخصية الإسلامية: فالمسلم يظهر شخصيته أمام العالم كله، فهو يمارس شعائره الدينية في المواقف كلها؛ الرسمية وغير الرسمية، وظروفه كافة؛ العادية والطارئة، فهو لا يستحي مما يعتقد، ولا يحني رأسه خجلا مما يؤمن به، ولا سيما أمام أعداء الأمة الذين يتلذذون بإثارة الشبهات وإشاعة الأراجيف حول معتقدات الإسلام ومسلمات الدين، فعقيدته صافية نقية، فيها الهدى والنور، وهي البلسم والشفاء، تتمشى مع الفطرة وتوافق سنن الحياة وتتناغم مع حركة الكون، وتطمئن لها النفس وينشرح لها الفؤاد، خالية من الخرافات والأباطيل، فإذا سخر به أحد من البشر أو لمز به لامز، قال لهم: ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود.

[10] السويدان، طارق وفيصل باشراحبيل، **صناعة القائد**، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 2003، ص130

إذا يقتضي من المسلم أن يجهر بدعوته ويظهر عبادته ولا يكتمها، لأن عبادته ذات مضامين رفيعة، ودلالات معقولة، وحكم جليلة، بها يتحقق صلاح الفرد والمجتمع والأمة.[11]

ثانيا: الرفق والتيسير: فالرفق بالناس والتيسير عليهم من أهم القيم الأخلاقية في الإسلام، بل ما جاء الإسلام إلا من أجل الترفق بالخلق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ طه، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة.

فالشريعة قد اعتمدت قاعدة التيسير في ساعة الخوف، حيث أن الصلاة الرباعية مقصورة على ركعة واحدة، بغية رفع الحرج والمشقة عن الناس، تأكيدا منها على قاعدة فقهية وتربوية "إذا ضاق الأمر اتسع"[12].

هذا المدلول التربوي الذي جسدته صلاة الخوف ينبغي أن يكون شعار المسلم أثناء تعامله مع الناس الذين يحيطون به، ففي تعامله مع زوجته يكون سهلا لينا فلا يشق عليها، ولا يرهقها بتوجيه وابل من التكاليف التي تنوء الجبال بحملها، ولا سيما في أوقات الضيق والشدة، وفي تعامله مع المدين ييسر عليه، ولا يثقل عبء المدين بكثرة لجاجه وطول لحاحه، بل يمهل المدين إلى حين السعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة.

ثالثا: تنمية النزعة الجماعية: لا شك أن الإنسان بأصل فطرته يفكر أولا وقبل كل شيء في دائرة الذات، فالنزعة الفردية وحب الذات من أقوى ما يسيطر على الإنسان وفكره، ولهذا جاء الإسلام بتعاليمه التي تعمل على استئصال الفكر الفردي وترسيخ الفكر الجماعي الذي يضمن بقاء الأمة وامتداد رسالتها عبر الأجيال والقرون.

---

[11] انظر البغا، مصطفى ديب: **مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي**، عالم الكتب الحديثة، عمان، ط1، 2007، ص209.

[12] العز بن عبد السلام: **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، دار الكتب العلمية، بيروت، 197/2.

يؤخذ هذا من طبيعة الحكم المتعلق بصلاة الخوف، إذ تقتضي أن تصلي فئة من المسلمين مع الإمام، وتبقى الفئة الأخرى قائمة في نحر العدو كدرع واق ضد أي عدوان يقع بهم، ثم إن التبادل الذي حصل في الركعة الثانية إنما من أجل سريان هذا الشعور في جميع أفراد الجيش.

هذه الكيفية لصلاة الخوف على هذا المعنى التربوي وهو أن على المسلم الانطلاق من الفكر الجماعي الذي يعمق عنده الشعور بأنه جزء من النسيج الجماعي، يحس بمشاعر الجماعة، ويعمل من أجل الحفاظ عليها، لأن موت الجماعة هو موت الفرد، فلا ينبغي للفرد أن يحصر فكره في مصالحه الذاتية وتأمين حاجاته الفردية والانصراف نحو إشباع الذات وتجاهل مصلحة غيره ومستقبل الأمة، وهو ما يسمى "الشح الاجتماعي" الذي يجعل الفرد عاكفا على عبادة الذات، وقد حذر منه النبي ﷺ:﴿ إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا﴾[13].

رابعا: أدب الاختلاف: ففي اختلاف هيئات صلاة الخوف واختيار كل إمام ما يناسبه منها دون نكران، يحمل مدلولا تربويا وهو احترام قواعد الاختلاف وسنة التنوع والتباين، فالاختلاف قاعدة ربانية وسنة كونية، وهو من دلائل حكمة الله في الخلق وعظيم قدرته في البشر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم.

فكما أنه شاء الله بحكمته تعدد صور صلاة الخوف واختلاف وجوهها وجريان العمل بها دون نكير، كذلك شاء الله أن يخلق البشر وفق أمزجة مختلفة وشخوص متباينة وعقول متعددة، حتى يتم التفاعل والتكامل بين بني البشر جميعا، لأداء المهمة التي أناطها الله بهم وهي تحقيق العبودية لله والقيام بخلافة الأرض.

[13] أخرجه النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين**، كتاب: الزكاة، 576/1، رقم الحديث 1516.

فالتكامل بين البشر جميعا لا يتحقق إلا من خلال التباين والاختلاف بينهم، فلولا الاختلاف بين الشحنات الموجبة والسالبة لما تشكلت دائرة كهربائية، ولولا اختلاف الذكر والأنثى لما تحقق وجود النسل وتعاقب الأجيال.

فحين نفهم الاختلاف في ضوء ما سبق ووفق معنى وروح صلاة الخوف يحل السلام بين أمم الأرض وتزدهر البشرية ويصلح حال الناس، وحين يغيب هذا الفهم يكثر النزاع وتحدث الصراعات وتتفكك الأمم وتستشري الأمراض وتحل الكوارث[14].

خامسا: مراعاة الأذواق: قد يتصف بعض المسلمين بصفة واحدة لا تتغير، أو بأسلوب واحد في التفكير لا يتبدل، أو بنمط رتيب في التعامل لا يتباين، فيكون إما جادا مع الآخرين طوال الوقت حتى لا تكاد تبتسم شفاه، أو يكون جل حياته هزليا، ليس له نصيب ولو بشكل ضئيل من الجد، أو يكون حادا شديد الطبع باستمرار، أو متساهلا لينا لا حزم عنده البتة.

فلا بد للإنسان أن يتكيف في تعامله مع جميع الظروف والأحوال، وأمام كل الاستراتيجيات والتكتيكات، وطبقا للزمان والمكان، كل ذلك في ضوء حدود الشرع، فتارة يحزم وأخرى يتساهل، وتارة يضحك وأخرى يحزن.

يؤخذ هذا من طبيعة أداء صلاة الخوف، إذ أنها تؤدى وفق الحالة الواقعة في ساحة القتال، فالصلاة في حالة المرابطة وعدم التحام القتال تختلف عنها وقت الالتحام مع العدو.

ومن هنا فإنه يحسن بالمسلم أن يكون مرنا في سلوكه وتفكيره، فما ينفع في ظرف قد يضر ظرف آخر، وهذا يقتضي من المسلم معرفة حقيقة من يتعامل معه، ويعد نفسه لذلك، فإذا أراد التعامل مع الشعراء أعد نفسه لذلك، وذلك بحفظ الشعر والاطلاع على مواقف الأدباء وأقوال الشعراء، وإذا أراد التعامل مع السياسيين فإن عليه متابعة

[14] انظر الجندي، رندا عوني: **قصة الاختلاف دراسة سننية**، دار العلوم، عمان، 2005، ص51 وما بعدها.

الأحداث السياسية ومستجدات الساحة المحلية العربية والدولية، وهكذا في كل موقف، بمعنى آخر أن يكون ذا نظر ثاقب وفكر سديد وعقل يتصف بالإحاطة والشمول[15].

البعد النفسي

أولا: الصلاة قوة معنوية: إن أعظم ما مُني به العالم الإسلامي في العصور المتأخرة هو الهزيمة الداخلية التي تتمثل بضعف روح المعنوية لدى المسلمين، بسبب ما يحدث على مسرح الحياة الذي يشهد به استعلاء الكفر وانتفاخ الباطل وعربدة الظلم، مع ما يقابله من استذلال الحق وضعف أهله وقلة حيلة أنصاره، فأصيب بحالة من الشعور بالضعف والدونية والانهزام.

لا ريب أن تسلل هذا الشعور في أعماق النفس خاصة في ساحات القتال وميادين النزال من شأنه أن يهز كيان نفس الجندي ويحطم ثقتها ويقذف فيها الرعب ويطفئ فيها آخر ذرة من أمل، عندئذ تنقلب موازين المعركة ويتحول النصر إلى هزيمة، لذا كان من المقاصد التربوية التي تنطوي عليها صلاة الخوف أنها تنفي عن النفس البشرية الشعور بالضعف والدونية، وتقوي شخصيته، وتعزز ثقته بنفسه وبأمته، فلا تخور قواه أمام قوة العدو وهذا عائد إلى حِكَم الألفاظ التي يتلفظ بها أثناء صلاته.

فعندما يشرع بالصلاة يتلفظ بقول "**الله أكبر**" فهذا يحرك في نفسه الإحساس بعظمة الله، فالله أكبر من كل شيء، فهو أكبر من الإنسان وما وصل إليه من قوة وبأس ومنعة، وهو إقرار منه على أن الكِبرَ والعظمة لله وحده.

وعندما يقرأ قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ الفاتحة، فإنه يضفي عليه معالم نفسية عظيمة، إذ يعيد له توازنه ويمنحه الشعور بالأمن وينفي عنه غبار الجبن والخور، لإقراره أن الله هو خالق كل شيء والمتصرف به، فهو المحيي والمميت، وهو

[15] الحمداوي، علي: **لا تكن كصاحب الجباعة**، دار ابن حزم، عمان، ط3، 2000، ص20.

الضار والنافع، وهو المانع والمعطي، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فلو اجتمع أهل الأرض على أن يضروه بشيء لا يضرونه[16].

فهذه الأذكار وغيرها تضفي على المسلم الشعور بالقوة والعزة والمنعة، لأن الله بيده خزائن السموات والأرض: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

ثانيا: تلبية الحاجات الأساسية: الإسلام بمجموع تشريعاته وأحكامه الجزئية والعامة هو الدين الوحيد الذي يجمع بين المطالب الدينية والحاجات الأساسية، بين الروحية والمادية، فهو إذ يدعو إلى التقرب إلى الله بالنوافل والذكر والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وتجديد العهد مع الله بالدعاء والابتهال والاستغفار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ الأحزاب، فهو إلى جانب ذلك يعنى بالجانب المادي للإنسان، من حيث إشباع حاجاته[17]، حيث يتولى الشعور بالأمن صدارة هذه الاهتمامات، ويتأيد هذا بأن الله ذكّر أهل قريش بالمنة الكبرى والنعمة الفضل عليهم وهي نعمة الأمن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ قريش.

يؤخذ هذا من طبيعة صلاة الخوف، حيث تقوم كل فئة بصورة تناوبية على حراسة الفئة الأخرى، إذا فهي تقوم على أساسين بارزين، هما:

- تلبية الجانب الروحي بأداء الصلاة.
- تلبية الحاجة الأساسية وهي المحافظة على أمن المصلين.

مشروعية صلاة الخوف نابع من أن تفويت الحاجة الأساسية - وهي عدم الشعور بالأمن - معناه:

---

[16] انظر محاضرات في الثقافة الإسلامية: مجموعة من المؤلفين، 163.

[17] حدد ماسلو الحاجات الأساسية للإنسان، وهي تشمل الحاجات الفسيولوجية، والحاجة إلى الأمن، ثم إلى الانتماء، ثم إلى التقدير، ثم إلى تحقيق الذات. انظر: التل، شادية: علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس، عمان، 2005، ص 159 وما بعدها.

- تعطيل العقل البشري عن الفهم والوعي والإدراك.
- شل قدرات الفرد عن العطاء والحركة.
- موت أمة الرسالة.

الأبعاد التنظيمية في مجال الدعوة والعمل

أولا: مراعاة فقه الأولويات: يقوم هذا الفقه على وضع كل شيء في مرتبته بالعدل، سواء في الأحكام والقيم والأعمال، وسواء كان في نطاق الفرد مع نفسه أو أسرته أو مجتمعه أو أمته، فيقدم الأولى فالأولى، بناء على معايير شرعية وصحيحة، يستهدي بنور الوحي ونور العقل.

يؤخذ هذا من حرص النبي ﷺ على أداء الصلاة المفروضة في أشد ساعات البأس، حيث رَهْج السنابك وصهيل الخيول وصليل السيوف، فإذا حضرت الصلاة يفزع إليها، دون أن يشغله عنها وطيس المعركة أو منازلة الأعداء، وذلك باعتبارها هي الركن الأهم والأولى الذي ينبغي أن يقدم على سائر الأركان.

أساس هذا التقديم هو أن القيم والأحكام والأعمال والتكاليف ليست في درجة واحدة في نظر الشرع، بل هي متفاوتة تفاوتا بينا فيما بينها، فمن الأعمال ما يطالب به المسلم على وجه الإلزام ومنها ما ليس على وجه الإلزام، ومنها ما هو من الضروريات ومنها ما هو من الحاجيات أو التحسينات، ومنها ما هو من الأصول ومنها ما هو من الفروع.

هذا الجانب التربوي هو ما ينقصنا اليوم سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، فعدم مراعاته أوقعنا في تناقضات غريبة، يقول القرضاوي:" من نظر إلى حياتنا في جوانبها المختلفة وجد ميزان الأولويات فيها مختلا كل الإخلال.. ولا يقف الإخلال عند جماهير المسلمين بل واقع من المنتسبين إلى التدين، لفقدان الفقه الرشيد.. ويقول: وكثيرا ما رأينا مثل هؤلاء - مع إخلاصهم - يشتغلون بمرجوح العمل، ويدعون راجحه، وينهمكون في المفضول ويغفلون الفاضل"[18].

[18] القرضاوي، يوسف: في فقه الأولويات، الناشر مكتبة وهبي، القاهرة، ط3، 1999، ص13-15 بتصرف.

ثانيا: الأخذ بأسباب الحماية والحذر: من سنن التربية الإسلامية أنها أولت جانب الحماية والحذر في كل مرحلة من مراحل الدعوة، لأن التدافع بين أنصار الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة، فلا يمكن أن تقوم للدين دولة ولا يوطد له أساس من غير الأخذ بهذا الجانب التربوي.

يؤخذ هذا من طريقة أداء النبي ﷺ للصلاة ساعة الحرب، حيث جعل النبي ﷺ المقاتلين في صفين، فعندما يهوي ساجدا يهوي معه الصف الأول، بينما يبقى الصف الثاني قائما في وجه العدو، فإذا قام الصف الأول يهوي الصف الثاني بينما يبقى الصف الأول قائما في نحر العدو.

لقد نهج النبي ﷺ هذا النهج في الصلاة دلالة منه على ضرورة أن يعي المسلمون مسألة الأخذ بوسائل الحيطة والحذر، حتى يظلوا أيقاظا متنبهين لما يحدث من حولهم غير غافلين، فطالما أن العدو يتربص بهم ليأخذهم على حين غرة، فعليهم أن يأخذوا حذرهم على الأصعدة كلها_ وليس في الصلاة فحسب_ وأن يعدوا ما استطاعوا من القوة والحذر واحتياطات الأمن، لنشر الدعوة وحماية منجزاتها في كل المراحل والأطوار، فإن أي خلل في هذا الجانب قد يؤدي إلى نتائج وخيمة من شأنها أن تؤثر على مستقبل الدعوة ومسارها، فكان من حكمة الله أنه ختم الآية التي تناول فيها صلاة الخوف بقوله: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ **وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ** ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ النساء.

ثالثا: مراعاة التنظيم والتخطيط: إذا قلنا بضرورة أخذ المسلمين بجميع أسباب الحيطة والحذر من أجل تأمين الدعوة في مسارها، فهذا يُتمّم بمراعاة الجانب الآخر، وهو ضرورة

وضع تخطيط مناسب لضمان فاعلية أساليب الحيطة والحذر، ذلك أن توفر وسائل الحذر من غير تنسيق مسبق بينها قد يوقع حالة من الفوضى والاضطراب، الأمر الذي يحد من فاعلية هذه الوسائل أو يبطلها.

يؤخذ هذا من حسن تصرف النبي ﷺ عندما جعل الجيش في صفين، فإذا سجد، سجد معه الصف الأول، ويبقى الصف الثاني قائما، فإذا قام من السجود سجد الصف الثاني، ثم تظهر براعة التنسيق في وسائل الحيطة والحذر هو أن يتقدم الصف المؤخر ويتأخر الصف المقدم ويفعلون في الركعة الثانية بمثل سابقتها.

كل ذلك تم وفق مخطط مسبق وتنظيم محكم ليعلم الناس أن النظام أساس النجاح في كل شيء، وأن الوسائل المتاحة وأسباب الحذر لا تغنيان إلا إذا كان هناك ضبط وربط ينظم عمليات الحذر والأمن، فلا ينبغي أن تجري الأمور على أعنتها، من غير معرفة ما ينبغي أن يقدم وما يؤخر، ومتى يقدم ومتى يؤخر، وكيف يقدم وكيف يؤخر.

رابعا: اغتنام الفرص المتاحة: إن سر النجاح في الحياة يكمن عندما يحسن الإنسان اغتنام الفرصة عندما تسنح له، والفرص على نوعين:

_ فرص ذات طابع خير.

_ فرص ذات طابع شر.

الفرص ذات الطابع الخير قد تكون دنيوية وقد تكون أخروية، وهذا الأخير من الفرص يتأكد اغتنامه، ولا ينبغي إهماله، فهي تمر مر السحاب، وهي بمثابة طاقة روحية تزود الإنسان بقدرات وإمكانيات تعينه على مواصلة سيره في هذه الحياة، وينمو فيها ويصمد في ساعات الشدة والمحنة، فهي بذلك قوة روحية وإيمانية إضافة لقوة الساعد والعمل.

يؤخذ هذا من حرص النبي ﷺ على استثمار الفرص لأداء واجبه الديني نحو ربه من دعاء وابتهال وصلاة، ففي أشد الساعات حلكة، وفي خضم المعركة وجد النبي ﷺ فرصة طيبة يؤدي فيها فرض ربه، فاغتنمها ولم يهملها، لأنه يخشى ألا تعود.

اغتنام النبي ﷺ هذه الفسحة القليلة من الوقت لأداء الصلاة فيها هو رفض قاطع لعقلية التسويف وهدر الفرص، وهي رسالة واضحة من النبي ﷺ إلى أمته ألا تتذرع بمقولة "سنعمل، سنقوم، سنبني..." بل عليها أن تقول: الآن هو الوقت المناسب. لأنه ما من ساعة أفضل من ساعة، ولا وقت أفضل من وقت.

خامسا: تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص: مبدأ تكافؤ الفرص هو معيار على تقدم أي مجتمع، وهذا المبدأ ينسحب على كافة الأطر ومواقع الحياة، ويشمل هذا التكافؤ تيسير سبل الوصول إلى الفرص وليس فقط إتاحتها للجميع على أساس المساواة وقواعد العدل.

يتجسد هذا المبدأ في إحدى الهيئات المتعلقة بصلاة الخوف، إذ أن النبي ﷺ كان يجعل الجيش ضمن طائفتين، طائفة تصلي والأخرى تقوم للحراسة، ثم تأتي الطائفة الأخرى للصلاة بينما تقوم الطائفة التي صلت للحراسة، بمعنى أن النبي ﷺ كان يمنح جميع أعضاء الجيش فرصة الابتهال والدعاء ومناجاة الله في الصلاة.

أهمية هذا المبدأ تكمن في تحقيق المساواة بين الجميع وإذابة الحواجز بين فئات الأمة، فليس للنزعات العرقية والعنصرية الضيقة والفئوية الشاذة أي اعتبار.

عندما غاب مبدأ تكافؤ الفرص عم الفساد حياة البشرية في كافة مرافقها، وأوقعها في فساد إداري وخلل وظيفي، وأصبح الفرص تُمنح لأصحابها على أساس العرق والجنس واللون، يقول نائب رئيس البنك الدولي لمنطقة أمريكا اللاتينية:"إن منطقة أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي هي إحدى المناطق التي تشهد أكثر حالات عدم الإنصاف في العالم، حيث يستحوذ أغنى 10% من السكان على 40% من إجمالي الدخل، بينما لا يحصل أفقر 10% من السكان إلا على 1% فقط من إجمالي الدخل"[19] وفي طبيعة الحال يعزى هذا إلى حد كبير إلى عدم تكافؤ الفرص بين الجميع.

سادسا: توظيف كافة الأفراد في العمل: تعود مسؤولية هذا الأمر إلى الطبقة القيادية الناضجة، التي تجدّ في تحصيل المكاسب الدينية والدنيوية للأمة، حيث أنه من أخطر

[19] www. Worldbank.org

الظواهر على الأمة أن يتراكم العمل بيد فئة محدودة من الأفراد، في حين تبقى الفئة الأكبر دون عمل.

خطورة هذه الظاهرة كامن في شعور الفرد بعدم الإنتاج، الأمر الذي يضعف ارتباطه بقضايا الأمة وتنطفئ في أعماقه البواعث والدوافع نحو الجد والعمل.

يؤخذ هذا من حسن توظيف النبي ﷺ لكافة أفراد الجيش، ففريق يصلي معه، في حين لا يبقى الفريق الأخر دون عمل، بل له دور عظيم هدفه حماية ظهور المسلمين من سهام العدو، وبهذا نجح النبي ﷺ في توظيف كافة أفراد الجيش واستثمار جميع طاقاته ضمن برنامج محكم ورصين لتحقيق الإنجازات التي تخدم المشروع الإسلامي.

وبناء على ذلك فإنه يتعين على أولياء الأمر أن يحسنوا التوظيف الصحيح للطاقات، وهو الذي لا يُفرط في أي فرد من أفراد الأمة، وأن يساووا بينهم في التكاليف، حتى يشعر كل فرد أنه على مسؤولية وأمانة، فيؤدي كل منهم دوره كائنا ما كان موقعه أو حجمه.[20]

سابعا: اعتماد نظام الدوريات: هذا النظام غدا من الأنظمة العالمية الشائعة في هذا العصر، وهو يقوم على توزيع الأدوار وتبادل المواقع بين الأفراد، ويعود هذا إلى طبيعة الشخصية الإنسانية، فهي مجبولة على القصور والضعف والشعور بالملل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النساء.

بما أن البشر ضعفاء في أصل خلقتهم ومتفاوتون في القوة فقد يعجز بعضهم على ما كلف به من واجب، أو يطرأ عليه شيء من النقص والخلل أثناء قيامه به، فينبغي عندئذ ألا يُحمّل الضعيف فوق ما يحتمل، ويجب حينئذ استبدال المواقع وتبادل الأدوار، فيحل محله آخر، وهذا خير سبيل للحفاظ على نشاط الأفراد وحيوية المواقع وفاعلية الأدوار.

يؤخذ هذا من فعل أفراد الجيش، إذا تبادلوا مواقعهم في الركعة الثانية، حيث تأخر الصف المقدم وتقدم الصف المؤخر، ومن كانت له الحراسة في الركعة الأولى فإنه يحرس

[20] يكن، فتحي: المتساقطون على طريق الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط12، 1991، ص61.

في الركعة الثانية، وهذا أساس مهم ولا سيما في نظام الجندية والخدمة العسكرية، لأن بقاء الجندي في موقعه طويلا قد يبعث في نفسه حالة من الملل والروتين.

ثامنا: أولوية الفروض العينية على الفروض الكفائية: من مؤكدات الفقه الإسلامي أن فرض العين مقدم على فرض الكفاية، وذلك لأن فرض الكفاية قد يوجد من يقوم به، فيسقط الإثم والحرج عن الآخرين، أما فرض العين فلا بديل له، ولا يقوم به أحد عن أحد.

يؤخذ هذا من قيام النبي ﷺ إلى الصلاة إذا حضرت، وحرصه على أدائها في وقتها ولو كان في ساحة الجهاد مع العدو -الذي هو فرض كفاية- وتقديمها عليه.

تبدو أهمية هذا بأن غياب هذا البعد عن واقع الأمة قد أحدث خللا تربويا عظيما وقع فيه كثير من المسلمين، فقد نجد منهم من يقدم الخروج في سبيل تبليغ الدعوة على القيام بحق الأسرة، أو يقدم الرحلة في طلب العلم على بر الوالدين والقيام بحقهما، مع أن القيام بحق الأسرة وبر الوالدين هما فرض عين، بينما الخروج لتبليغ الدعوة والرحلة في طلب العلم فرض كفاية[21]، وأشباه ذلك كثير.

لقد أكدت السنة على أهمية مراعاة هذا البعد، قال عبد الله بن عمرو ﷺ:﴿جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك، قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد﴾[22].

---

[21] تبليغ الدعوة فرض كفاية استدلالا بقوله تعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون آل عمران/104، قال القرطبي:" فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية، وقد عينهم الله بقوله: الذين عن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة الحج/41. . الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، 1414هـ، 157/2.

وأما الخروج في طلب العلم فقال الله في شأنه: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون التوبة/122 قال القرطبي:" وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة وأنه على الكفاية دون الأعيان" الجامع لأحكام القرآن/209/4.

[22] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجهاد بإذن الأبوين، 22/3، رقم الحديث 3004.

إن وجوب القيام بحق الأسرة لا يقل أهمية عن الخروج لتبليغ دعوة الإسلام، بل الأولى هي آكد من الأخرى، فهناك العدد الهائل من المسلمين من يسد النقص في حال تخلف رب الأسرة عن تبليغ الدعوة، أما حين يتخلف المسلم عن رعاية بيته واهتمامات أسرته قد لا نجد من يسد هذه الثغرة دونه، وكذلك الشأن مع الوالدين.

قد يصبح فرض الكفاية في بعض الأحيان فرض عين في حق شخص بعينه، وذلك حين تجتمع في هذا الشخص دون غيره كل المؤهلات والقدرات المادية والمعنوية، كأن يكون هو وحده المتقن لمهنة الطب، فمثل هذا الشخص ينبغي أن يقدم هذا الفرض العيني- العمل في مجال الطب- على غيره من الفروض الكفائية، التي يمكن لغيره أن يقوم بها، كالخروج للجهاد مثلا.[23]

إن الخلط الواقع بين مفهومي الفرض العيني والفرض الكفائي وعدم معرفة متى يقدم كل منهما أو يؤخر قد لبّد سماء الأمة بغيوم سوء ووبال، حيث أمطرت مطر السوء على الأرض الإسلامية فأحدث صراعا بين القيم، واختلطت الأوراق واضطربت الرؤى واختلت الموازين، وأصبح العقل المسلم غير قادر على وضع الأمور في نصابها، فيعطي بعض الأعمال أكثر من استحقاقها ولو كانت على حساب غيرها، فينزل الفروض الكفائية منزلة الفروض العينية، وبهذا وقع الخلل في الفروض العينية واعتراها النقص، فضعفت الأمة وذهبت شذر مذر، وأضحت تقف على شفير هاوية ليلقي بها شبح الحياة في غياهب الدمار.

[23] نقصد هنا جهاد الطلب وليس جهاد الدفع، وشتان بينهما، فجهاد الطلب: هو فرض كفاية، بأن يكون العدو في أرضه ونحن نطلبه، من باب الحرب الوقائية، فهنا يغني البعض عن الكل، أما جهاد الدفع: هو فرض عين، فيكون العدو قد دخل أرض الإسلام وعاث فيها الفساد، وطلب الإمام النفير من الجميع، عندئذ يتعين الخروج لدفع هذا العدو بكافة القدرات والإمكانيات. القرضاوي، يوسف: فقه الأولويات، مرجع سابق، ص119.

المواقف التربوية في مجال التربية والتعليم

أولا: التخفيف في المهام التعليمية: من الضروري أن يراعي المعلم مبدأ التخفيف عندما يكلف طلابه بأداء واجبهم سواء في البيت أو المدرسة وأثناء الحصص، فلا يكلفهم ما لا طاقة لهم به، ولا يشق عليهم في كثرة الطلب فيصابوا بالإحباط واليأس، مما يسبب لهم انتكاسات نفسية، وتعزف نفوس الطلاب عن العلم، فيضطروا إلى ترك مقاعد الدراسة، ومثل هذا المعلم كمثل من يريد أن يقطع صحراء طويلة وبسرعة، فيشد على دابته حتى يهلكها دون أن يبلغ قصده، لقوله ﷺ:﴿ إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى﴾.[24]

ثانيا: تعويد التلاميذ على الترتيب: في أعمالهم وأداء واجباتهم حسبما يفيده فقه الأولويات، وكذلك تعويدهم الترتيب في كل شؤون حياتهم، فيقدم ما يستحق التقديم، ويؤخر ما يستحق التأخير، يؤخذ هذا من اصطفاف المسلمين خلف الإمام، ثم سجود الإمام والصف الذي يليه، ثم تأخر الصف المقدم وتقدم الصف الأول، كل ذلك ضمن ترتيب واتساق. من أبرز المواقف التي يتجلى بها هذا المضمون التربوي لدى عودة الطلبة إلى بيوتهم، فينبغي أول ما يقوم به الطالب هو أداء صلاة الظهر خشية فواتها، ثم تناول وجبة الغذاء، ثم الحصول على قسط من الراحة لتجديد النشاط والحيوية، ثم مباشرة الواجبات التعليمية.

ثالثا: تعويد الطلاب على الجد والنشاط: ورفض عقلية التسويف والتأجيل وإهدار الفرص، وغرس في نفوسهم روح المبادرة في القيام بواجبات المدرسة ومسؤولية التعليم، وهذه قضية باتت من أخطر إصابات أزمة التعليم في بيئتنا الثقافية، حيث لا يحسن الطلاب مسألة اغتنام الفرص، ولا يتقنوا فن إدارة الوقت، الذي هو من أهم العلامات الفارقة بين الأمم المتقدمة والأمم المتخلفة، وبين الأشخاص الناجحين والأشخاص العاديين، فكيف يمكن للطالب تحقيق التفوق والنجاح إذا كان لا يحسن استثمار أهم مصدر لتحقيق النجاح والتميز وهو الوقت.

[24] أخرجه البيهقي: في سننه الكبرى، باب: الاقتصاد في العبادة، 19/3، رقم الحديث 4521.

رابعا: التعاون مع الغير: تعويد الطلاب على مبدأ التعاون مع الغير، الذي هو جوهر مبادئ الفاعلية والتفوق والنجاح، لأنه محفز للهمم، موحد للجهود، مفجر للطاقات والقدرات، يفرز الإبداعات، والتعاون المقصود هنا أن يساعد الطلاب الأكثر نباهة وذكاء من هم دونهم في النباهة والذكاء، ويتعاون أفراد المرحلة العليا مع من هم دونهم من المراحل في النشاطات المدرسية والفعاليات الاجتماعية، وبذلك يحل فكر التعاون بدل فكر الصراع، وفكر الوفاق بدل فكر الافتراق، وهذا النمط من التفكير من شأنه أن يلقي بظلاله الإيجابية على الجماعات والأحزاب والطوائف والحكومات والمدن والأرياف في الأقطار العربية والإسلامية[25].

خامسا: وضع المناهج وفق الظروف الطارئة والحالات الراهنة: يجسد هذا المعنى أداء النبي ﷺ صلاة الخوف على هيئة معينة وفق ما يقتضيه الموقف وطبيعة الحال.

ينبغي على واضعي المناهج أن يقوموا بقراءة الواقع ومتابعة الأحداث التي تطرأ على الساحة الإسلامية والعالمية، ومن ثم إدراجها ضمن محتوى المناهج الدراسية التي فيها إجابة على أسئلة العصر المحير.

فمن سلبيات التعليم المعاصر أنه معزول عن معترك الحياة وحركة المجتمع وواقع الحياة، فقد أُسقط دور البيئة والمجتمع وحركة البشر من المناهج التعليمية، برغم أنه من الناحية التربوية أن الفرد هو وليد البيئة والمجتمع والواقع- بمختلف مشاربه؛ السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعية-، الأمر الذي أدى إلى فرز جيل من المسلمين معزول عن الواقع وحركة الحياة، فوقع في دائرة الحيرة والارتباك في ضوء الأزمات الحالية والمشكلات الراهنة، لأنه لا يدرك كيفية التصرف حيال ذلك كله.

كذلك لا بد من وضع مناهج تربوية وخطط فصلية تتناسب وطبيعة المرحلة التعليمية، بحيث يستطيع الطالب استيعابها وإدراكها وممارستها في مختلف مواقف حياته.

سادسا: وضع خطط منهجية تتسم بالنظام والوضوح: هذا الأمر هو متمم للذي سبقه،

[25] الكيلاني، ماجد عرسان: التربية والتجديد، دار القلم، دبي، ط1، 2005، ص91.

فإن وضع المناهج يفتقر إلى جدوى التخصص والتخطيط وتقسيم المهام وتوزيعها حسب المراحل التعليمية ووضوح المنطلقات وتحديد الأهداف ودراسة الوسائل وتقدير الزمن المطلوب.

فإذا كان النبي ﷺ قد صلى صلاة الخوف وفق نظام معين وخطة مسبقة ومعلومة للجميع، بحيث يعلم كل فرد من الجيش متى يتابع الإمام في الأركان ومتى يتخلف عنه، ومتى يتقدم إذا كان في الصف المؤخر ومتى يتأخر إذا كان في الصف المقدم، فكذلك على واضعي المناهج الدراسية هم سواء في ذلك، لأن عدم وجود فلسفة واضحة للتربية والتعليم بمنطلقاتها وأهدافها ووضع الخطط التربوية لكل مرحلة بعد اختبارها والتأكد من نجاعتها وفاعليتها ودراسة الجدوى منها قبل تعميمها يعتبر من الأمور الهدامة والمدمرة للأمة وإهدارا لطاقاتها[26].

سابعا: تنوع الأهداف التربوية في المجال العقلي: بحيث تشمل جميع العمليات العقلية، كالتذكر، والاستيعاب، والتطبيق، والتحليل، والتركيب، والتقويم، فالاقتصار على نوع واحد يساعد في نمو العقل من جانب ويعيق نموه في جوانب أخرى، وقد أفادنا في هذا تعدد هيئات صلاة الخوف.

كما يحسن بالمعلم على غرار ذلك محاولة تعليم طلابه ممارسة مجموعة من السلوكيات المتنوعة، ترتبط بمضمون معين، تختلف باختلاف المواقف، كأن يعلم طلابه بعض المهارات الحركية، كالجري والقفز والركض، أو ممارسة مهارات فنية كالقص والكتابة والرسم والزخرفة، أو حتى أساليب تفكير متنوعة، كأسلوب حل المشكلات، أو أسلوب الإبداع والابتكار، أو أسلوب تبادل الأدوار، وغير ذلك مما يساعد على تنمية العقل والفكر والإبداع وطرد الملل والسأم وكسر روتينية التعليم[27].

---

[26] حسنة، عمر عبيد: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة، العدد9، 1401هـ، ص55.

[27] نشواتي، عبد المجيد: علم النفس التربوي، دار الفرقان، عمان، ط3، 1996، ص71.

ثامنا: مراعاة الحالة النفسية لدى الطلاب: إن مراعاة الحالة النفسية لدى طلاب أمر لا بد منه لتحقيق أغراض التعلم وأهداف المعرفة، إذ تقتضي العملية التعليمية تهيئة الجو النفسي لاستقبال المزيد من المعرفة، وذلك من خلال تفهم مشاعر الطلاب ومعرفة ما يحيط بهم من أحداث وما يكتنفهم من ظروف وأحوال، لأن الواقع يؤكد على أنه لا يمكن للعقل الإنساني القيام بشتى وظائفه من تحليل وتركيب وفهم واستدلال واستنباط ما دامت المشاعر مشحونة بكتلة من التوترات التي تخرجها عن حدها الطبيعي.

إن التغيير الذي طرأ على هيئة الصلاة ساعة الخوف واقتصارها على ركعة واحدة –كما جاء في بعض الروايات الصحيحة- يجسد هذا المعنى بوضوح، وذلك استجابة للحالة النفسية التي تعاني حالة عدم الاستقرار، ولعل هذا يفسر نهي النبي ﷺ عن الصلاة في حضرة الطعام وعند مدافعة الأخبثان، قال النبي ﷺ:﴿لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان﴾[28].

خاتمة

نأمل أن نكون قد وفقنا في تقديم طرح جديد أثناء التعامل مع النصوص الشرعية الإسلامية، ولا سيما فيما يتعلق بالشعائر العبادية، الأمر الذي يترك أثرا طيبا في نفس كل من يتوجه إليه الخطاب الشرعي، مما يحمله ذلك على الالتزام والخضوع الكاملين لكل ما جاء به الوحي الكريم حملا حسنا.

كما أنه لا يخفى على أحد الممارسات التي ينتهجها خصوم الإسلام ضد كل ما يمت إلى واقع الإسلام، من تسفيه لأصوله، وتعتيم لأحكامه، وتشويه لنصوصه بأقبح الوسائل والحيل، فقد وجدنا أنفسنا في زاوية تفرض علينا ضرورة إخراج أصول الإسلام إلى النور، وتوضيحها للناس كافة، تلك الأصول التي بنيت عليها أعظم حضارة عرفها الواقع الإنساني منذ أن وجد على كوكب الأرض.

[28] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة بحضرة الطعام، 49/5، رقم الحديث 1246.

ببليوغرافيا

1. **القرآن الكريم**.
2. ابن ماجة، محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجة**. حقق أصوله خليل مأمون شيحا. بيروت: دار المعرفة، 1419.
3. ابن قدامة، أبو محمد بن عبد الله. **المغني**. تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو. بيروت: دار هجر، 1987.
4. البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. حقق أصوله عبد العزيز بن باز. بيروت: دار الفكر، 1419هـ.
5. البغا، مصطفى ديب. **مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي**. عمان: عالم الكتب الحديثة، 2007.
6. البيهقي، أحمد بن الحسين. **سنن البيهقي الكبرى**. تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة ابن باز، 1994.
7. التل، شادية: **علم النفس التربوي في الإسلام**. عمان: دار النفائس، 2005.
8. الجندي، رندا عوني. **قصة الاختلاف دراسة سننية**. عمان: دار العلوم، 2005.
9. حسنة، عمر عبيد. **مراجعات في الفكر والدعوة والحركة**. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة، العدد9، 1401هـ .
10. الحمداوي، علي. **لا تكن كصاحب الجباعة**. ط3. عمان: دار ابن حزم، 2000.
11. السويدان، طارق وفيصل باشراحبيل. **صناعة القائد**. ط2. بيروت: دار ابن حزم، 2003.
12. الشوكاني، محمد بن علي. **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الخيار**. بيروت: دار المعرفة، 1419هـ.
13. العز بن عبد السلام. **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
14. القرضاوي، يوسف. **في فقه الأولويات**. ط3. القاهرة: الناشر مكتبة وهبي، 1999.

15. القرطبي، ابن رشد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**. تحقيق أبو الزهراء القاضي. مكة: مكتبة نزار الباز، 1995.

16. القرطبي، محمد بن أحمد. **الجامع لأحكام القرآن**. بيروت: دار الفكر، 1414هـ .

17. الكيلاني، ماجد عرسان. **التربية والتجديد**. دبي: دار القلم، 2005.

18. نشواتي، عبد المجيد. **علم النفس التربوي**. ط3. عمان: دار الفرقان، 1996.

19. النيسابوري، محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.

20. النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**. بيروت: دار ابن حزم، 1422هـ.

21. يكن، فتحي. **المتساقطون على طريق الدعوة**. ط12. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1991.

22. www. Worldbank.org.